

العلاقة بين رواية ورش والمذهب المالكي

الدكتور عماد بن عامر

أستاذ بمعهد القراءات، وإمام الجامع الكبير بالعاصمة



وَأَنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿الحجر: ٩﴾

ومن الأسباب التي هيأها الله لحفظ كلامه: تقييض علماء أجلاء عنوا بحفظه وتلاوته، وتقعيد قواعده وضوابطه، وحفظ حروفه ولغاته، فأجمعت الأمة الإسلامية على عشر قراءات متواترة صحيحة، وقرأ أهل مصر بقراءة واحد منهم، وقد شاع في بلاد مصر والمغرب والأندلس ارتباط قراءة نافع بروايته: ورش وقالون بالمذهب المالكي، فعرفت به وعرف بها، وحري بالباحثين في القراءات أن ينفقوا على أهم الأسباب والعوامل التي ربطت المذهب بالقراءة.

الحمد لله الذي أنزل القرآن رحمة للعالمين، وذكرنا للمتقين، ودستورا وشريعة إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، أما بعد،

فإن الله عز وجل أكرمنا بإنزال القرآن العظيم، وأمرنا بتلاوته حق التلاوة، فقال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المزمّل: ٤، فرتله الرعيل الأول على قواعد الترتيل المضبوطة، وحفظوه مرتلا غضا طريا للأجيال التي أتت من بعد، صدق لله تعالى وعده بحفظ كتابه المبين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

اخترت تعريف ابن جزي، حيث عرفه بأنه: «كلام الله المنزل على محمد ﷺ باللفظ العربي، المكتوب بين دفتي المصحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً بالقراءة المشهورة». فكان التعريف جامعاً لأهم حدود القرآن.

وقد اشترط العلماء ثبوت القرآنية، وجواز القراءة بها ثلاثة شروط:

- أ- أن يوافق خط المصحف، أي الرسم العثماني.
- ب- أن ينقل نقلاً صحيحاً مشهوراً.
- ج- أن يوافق كلام العرب، ولو في بعض اللغات أو بعض الوجوه.

ب/ نزول القرآن على سبعة أحرف:

لقد نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف تيسيراً على العرب في قراءتهم لكلام الله، إذ يصعب على العربي أن ينتقل من لهجته إلى لهجة غيره، بسبب درج لسانه عليها، فكان من رحمة الله بعباده أن بعث جبريل إلى النبي ﷺ، وأمره أن يقرئ الناس القرآن، فنزل عليه بحرف واحد، والنبي

وقد أردت في هذا البحث المتواضع أن أسلط الضوء على هذه المسألة، متبعاً في سبيل ذلك خطة ثنائية المباحث:

تعرضت في المبحث الأول فيها إلى التعريف بالقرآن والأحرف السبعة، والمصطلحات المعروفة في هذا الشأن (القراءة والرواية والطريق)، وختمته بترجمة موجزة لنافع وورش.

وأما المبحث الثاني فهو صلب الموضوع وجوهره، وقد خصصته لذكر أهم العوامل التي رأيتها أسهمت في الربط بين المذهب المالكي وقراءة نافع عموماً، ورواية ورش على وجه الخصوص، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد.

1/ القرآن الكريم بين الأحرف السبعة والقراءات المتواترة:

أ/ التعريف بالقرآن الكريم: لقد تنوعت تعاريف القرآن الكريم، بحسب الزاوية التي نظر من خلالها العلماء للقرآن، ولكنها تدور حول بعض المعاني المتفق عليها، وقد

4 - الاختلاف في وجوه الإعراب:
قراءة (ولا تسأل) و(لا تسأل).

5 - الاختلاف في تصريف الأفعال:
قراءة (قال ربي) و(وقل ربي).

6 - الاختلاف في اللهجات من
فتح وإمالة وإظهار وإدغام وتسهيل
وتحقيق وتقديم وترقيق.

7 - الاختلاف في الأسماء من
حيث الأفراد والتثنية والجمع: قراءة
(إطعام مسكين) و(مساكين).

وعليه فإن المصحف الإمام قد
حوى بعض الأحرف السبعة.

معنى القراءات والرواية والطريق:
إن معرفة هذه الاصطلاحات، والتفريق
بينها من المسائل المهمة لطالب
القراءات، لأن هذا العلم مبني على
الرواية والسمع.

وقد اصطلح علماء القراءات على
إطلاق القراءة على ما نسب إلى إمام
من الأئمة العشر، كنافع وابن كثير
وعاصم، وعلى إطلاق الرواية على ما
نسب إلى الآخذين عن القراء كورش

صلى الله عليه وسلم يستزيده حتى أذن له أن
يقرئ أمته على سبعة أحرف.

فما المراد بهذه الأحرف السبعة؟
لقد اختلف العلماء في تحديد معناها
على أقوال، أقواها مذهبان:

الأول لجمهور العلماء: وقالوا
بأنها لغات العرب كلغة قريش، وهذيل
وتميم... الخ، وإن اختلفوا في تعيين
هذه اللغات، وعلى هذا القول فإن
الأحرف السبعة قد نسخت، وكتب
المصحف الإمام بحرف واحد، وهي
لغة قريش.

والثاني: ما جنح إليه أبو الفضل
الرازي حيث قال: التغاير لا يخرج عن
سبعة أوجه:

1 - الاختلاف في الإبدال
كحرف مكان حرف، كقراءة (وتوكل)
و(فتوكل).

2 - والنقص والزيادة: كقراءة (فيما
كسبت) و(بما كسبت).

3 - والتقديم والتأخير: كقراءة
(وقاتلوا وقتلوا) و(قتلوا وقتلوا).

وقالون وحفص، وأما الطريق فيطلق على من أخذ عن الرواة كالأصفهاني والأزرق والحلواني وأبي نسيط.

قال النوري الصفاقصي: «لا بد لكل من أراد القراءة أن يعرف الفرق بين القراءات والروايات والطرق، والفرق بينهما أن كل ما نسب لإمام من الأئمة فهو قراءة، وما ينسب للأخذين عنه ولو بواسطة فهو رواية، وما ينسب لمن أخذ عن الرواة وإن سفل فهو طريق، فنقول مثلاً: إثبات البسمة قراءة المكي ورواية قالون عن نافع، وطريق الأصفهاني عن ورش، فهذه القراءات والروايات والطرق هي منشأ الخلاف بين القراء».

ج/التعريف بالإمامين نافع وورش:

أولاً/ الإمام نافع: هو أحد الأئمة القراء السبعة الذين اشتهر ذكرهم في جميع الآفاق، ووقع على فضلهم وجلالتهم الاتفاق، وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة - حليف حمزة بن عبد المطلب - وأصله من أصفهان، وكان أسود اللون حالك

السواد، ويكنى بأبي رؤيم وأبي نعيم وأبي عبد الرحمن وأبي الحسن، واشتهر بأبي رؤيم، ولد سنة 70 هـ، وكان عالماً صالحاً مجاب الدعوة فصيحاً عالماً بالقراءات ووجوهها، أم رضي الله عنه الناس في الصلاة بمسجد النبي ﷺ ستين سنة، وقرأ على سبعين من التابعين، وقرأ على مالك الموطأ، وقرأ عليه مالك القرآن، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، وأجمع الناس عليه بعد شيخه أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وقرأ عليه مائتان وخمسون رجلاً، كان يخرج من فمه رائحة المسك، ولما سئل عن ذلك قال: ما أمس طيباً ولا أقرب طيباً، ولكنني رأيت فيما يرى النائم النبي ﷺ وهو يقرأ في في، توفي بالمدينة سنة 169 هـ.

ثانياً/ ورش: وهو أبو سعيد عثمان

بن سعيد المصري، لقب بورش لشدة بياضه، وقيل لقلة أكله، ولد بمصر سنة 110 هـ ثم رحل إلى نافع بالمدينة،

له، بل واعتبرها سنة أهل المدينة، فقد روى غير واحد عن مالك، منهم سعيد بن منصور قال: «سمعت مالك بن أنس يقول: قراءة نافع سنة»، وروي أيضاً عن ابن وهب مثله، والمراد بالسنة سنة أهل المدينة - أي طريقة أهل المدينة - ولا يلزم منه أن غير قراءته ليست بسنة: إذ القراءات العشر سنة متواترة عن رسول الله ﷺ بالأسانيد الصحيحة.

يقول صاحب الدرر الواسع:

من نظم مقرأ الإمام الخاشع

أبي رؤيم المدني نافع

إذ كان مقرأ إمام الحرم

الثبت فيما قد روى المقدم

والذي ورد فيه أنه

دون المقارئ سواء سنة

وعليه فثناء مالك على قراءة نافع،

واعتباره لها سنة أهل المدينة، كان من

أهم العوامل في اعتماد المالكية لمقرأ

الإمام نافع، تأسيًا بصاحب المذهب.

ب/ إمامة نافع لمسجد رسول الله

فقرأ عليه أربع ختمات مشافهة، وكان ذلك عام 155هـ، وكان حسن الصوت جيد القراءة، عالمًا بالعربية، ثم رجع إلى مصر، وأقرأ بها الناس مدة طويلة، فانتهدت إليه رئاسة الإقراء فلم ينزع فيها، ويروى عن جودة قراءته أنه كان إذا قرأ على نافع غشي على الجلوس، وقد روي عنه خلق كثير، من أشهرهم: الأزرق والأصفهاني، توفي رحمه الله سنة 197هـ في أيام المأمون ودفن بالقرافة.

2/ علاقة المذهب المالكي بقراءة

نافع، وسبب انتشار رواية ورش عند المالكية:

أ/ تتلمذ الإمام مالك على نافع، وتأثره به: إن المترجمين للإمام مالك أجمعوا على أنه تتلمذ على يد نافع المدني في علم القراءات، وأن الإمام نافعاً أخذ عن مالك الموطأ والحديث، فكان مالك شيخ نافع في الحديث، ونافع شيخ مالك في علم القراءات ويظهر جلياً تأثر مالك بقراءة شيخه في اعتماده لقراءته، وصيرورتها مقرأ

المصطفى ﷺ وإقبال الناس عليه بمثابة إجماع عمل أهل المدينة، ومن البديهي في أصول المالكية أن العمل حجة وأصل من الأصول المقررة التي اعتمدها مالك، وقدمه على أخبار الآحاد، وبالخصوص في مجال الرواية والسماع - التي لا دخل للرأي والاجتهاد فيها - والقراءة تدخل ضمن الرواية والسماع.

ولا بأس أن نشير إلى بعض اللطائف التي تدل على اعتماد العمل عند مالك:

فقد ذكر شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي عن الشارمساحي في نظم الدرر: «ومن ذلك ما عول عليه في الأذان والإقامة من النقل المتصل، والعمل المستمر فيها بمسجد رسول الله ﷺ في كل يوم خمس مرات، إلى زمانه، وبالعمل المستمر والنقل المتصل تمسك في أن المصلي لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءته أخذاً من النقل الثابت والعمل المتصل... حتى قال بعض العلماء المتقين في معرض

ﷺ: من المقرر أن نافعا أم الناس بمسجد رسول الله ﷺ ستين سنة، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، وأجمع الناس عليه بعد وفاة شيخه أبي جعفر يزيد بن القعقاع.

قال الشاطبي:

فأما الكريم أسر في الطيب نافع

فذاك الذي اختار المدينة منزلاً

وقال محمد بن أحمد الوهراني - نهاية القرن 9هـ - في تقريب النافع في الطرق العشر لنافع:

وبعد قلما كان مقراً نافع

أجل مقارئ القرآن وأفضلاً

لما قيل فيه أنه بذار هجرة

سنة خير المرسلين وكيف لا

قال أبو محمد مكي تعليقا على قول مالك: «إن قراءة نافع سنة»: يعني بذلك سنة أهل المدينة، وهذا أصل مالك ومذهبه في تقديمه عمل أهل المدينة.

وكانت هذه المدة الطويلة التي قضاه في الإمامة وإقراء الناس بمسجد

المالكية وبالأخص في المغرب العربي بقراءة نافع بروايته ورش وقالون، تأسيا بمالك، ويظهر حب المالكية المغاربية الشديد لمالك في وصف صاحب انتصار الفقير السالك لهم: «وأعلم أن المغاربة وعلماء الأندلس لما أرادوا أن يطلبوا العلم وقصدوا إلى مدينة رسول الله ﷺ التي هي دار هجرته، وموضع إقامته ومهبط الوحي عليه، ووجدوا عالمها مالكا، وهو أعلم أهل زمانه بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والقياس وفهم الألفاظ والمعاني ومعرفة الإجماع والاختلاف ... فأخذوا عنه علم أهل المدينة وعملهم، ورجعوا إلى بلادهم، فأخرجوا منها جميع مذاهب أهل العراق وغيرهم».

ويقول في موضع آخر: «وجوه الترجيح لمالك ومذهبه - رحمه الله - أن عامة أهل مصر وأهل الخير منهم إذا رأوا مالكا يفعل حسنا قالوا: لا يكسر عليه لأنه مالكي المذهب، وإن فعل قبيحا قالوا له: أتكون مالكا وتفعل هذا؟ وذلك إجلالا لمذهب مالك وتعظيما له، ولذلك يقول أهل الخير

الغيرة على منصب الإمام الشافعي: وددنا أن الشافعي لم يتكلم في هذه المسألة».

قال ربيعة: «ألف عن ألف خير من واحد عن واحد، وفي رواية: تنتزع السنة من بين أيديكم».

وقد كان من كان بغير المدينة ممن سحب رسول الله إن شك في أمر لم يقطع فيه حتى يقدم المدينة، ويسأل عنه، فعل ذلك ابن مسعود وابن عمر وأبو هريرة وغيرهم.

وروي أن رجلا من أهل العراق سأل ملكا عن حديث تربيع التكبير أصحيح هو؟ قال نعم، قال له السائل: فمالك لا تأخذ به؟ قال مالك: ما أدري ما أذان يوم ولا ليلة، هذا مسجد رسول الله يؤذن فيه من زمانه إلى زماننا هذا خمس مرات في اليوم واللييلة، فلم يذكر عن أحد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لهذا الأذان.

ج/شدة تأسي المالكية بمؤسس

مذهبهم: لقد أخذ مالك بقراءة نافع واعتبرها سنة أهل المدينة، وقد أخذ

والدين للمغاربة: إنّ المغاربة على الحق، وأنهم أهل الدين، وهذا كله إجماع عن أهل الفضل والخير والدين، يقولونه على وجه التعظيم لمالك، ومذهبه رحمه الله».

وإذا ربطنا بين ورش المصري الذي أخذ عن شيخ مالك - نافع - وبين هذه الأسماء اللامعة من تلاميذ مالك الذين نقلوا مذهبهم إلى مصر، لا شك وأن هذا الأمر قد لعب دورا كبيرا في ربط فقه مالك برواية ورش، فورش قد انتهت إليه رئاسة الإقراء، والمذهب المالكي قد غلب على مصر في حياة مالك وبعد وفاته، وأفئدة الناس مشرّبة إلى إتباع الأمر الغالب على البلد، والرواية والمذهب قد غلبا على مصر.

يقول أبو زهرة - مقررا غلبة المذهب على مصر -: « لقد انتشر المذهب الجليل ببلاد الحجاز، وغلب عليها، وكان ذلك طبعيا، لأنه مذهب نشأ ببلاد الحجاز... ثمّ ثمّ ذكروا بأنه حمل بالمدينة أبداً، حتى تولى قضاءها ابن فرحون سنة 793هـ... وقد ظهر المذهب المالكي في مصر في حياة مالك رحمته، وقد اختلفوا في أول من

وإذا كان ورش مصرية، فإن كثيرا من تلاميذ مالك رحمه الله من المصريين - إضافة إلى أهل المدينة وشمال إفريقية وبلاد المغرب - كعبد الله بن وهب الذي نشر مذهب مالك في مصر وبلاد المغرب، وقد لازم مالكا عشرين سنة، وعبد الرحمن بن القاسم، ولازمه أيضا نحو من عشرين سنة، وأشهب بن عبد العزيز، وعبد الله بن عبد الحكم الذي

المطلب الرابع: تتلمذ ورش المصري على نافع، وتلاميذ مالك الكثر الذين نشروا مذهبهم

لقد تتلمذ الإمام ورش على شيخه نافع، وقرأ عليه أربع ختمات، وأجاد عنه القراءة، ثمّ رحل إلى مسقط رأسه مصر، وأقرأ بها الناس، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بها.

وإذا كان ورش مصرية، فإن كثيرا من تلاميذ مالك رحمه الله من المصريين - إضافة إلى أهل المدينة وشمال إفريقية وبلاد المغرب - كعبد الله بن وهب الذي نشر مذهب مالك في مصر وبلاد المغرب، وقد لازم مالكا عشرين سنة، وعبد الرحمن بن القاسم، ولازمه أيضا نحو من عشرين سنة، وأشهب بن عبد العزيز، وعبد الله بن عبد الحكم الذي

أدخله، فقليل: عبد الرحمن بن القاسم،

أ- إنها لغات العرب ولهجاتهم.

ب- يراد بها الأوجه المتباينة والمتلفة في القراءات من ايدال وزيادة وإمالة وتسهيل ...، قاله الرازي.

- القراءة ما ينسب إلى إمام من الأئمة العشر، والرواية ما ينسب إلى من أخذ عن صاحب القراءة، والطريق ما ينسب إلى من أخذ عن صاحب الرواية.

إن أهم العوامل التي أسهمت في انتشار رواية ورش إلى جانب المذهب المالكي ما يلي:

تتلمذ مالك على نافع، وتأثر به.

إمامة نافع لمسجد رسول الله ﷺ مدة طويلة، إجماع أهل المدينة عليه، فكان بمثابة العمل الذي هو أصل من أصول المالكية.

ج - شدة تأسي المالكية بالإمام مالك الذي أثنى خيراً على شيخه نافع وقراءته.

وقيل عثمان بن الحكم الجذامي... وعلى أي حال كانت مصر بعد الحجاز أول بلاد انتشر بها علم مالك، وكثر تلاميذه حتى صدر العلم المالكي عنهم من بعده، فابن القاسم وأشهب وابن وهب وأصبع وغيرهم من المصريين كانوا حملة العلم المالكي وناشريه... ود مكث ذلك المذهب فصار له الغلب على الديار المصرية حتى جاء الشافعي، واتخذ مصر مقاماً له..

وأما في غير مصر فإن أغلب من أخذ المذهب المالكي أخذه عن تلاميذ مالك بمصر والمدينة، ويبدو أنهم قد تأثروا برواية ورش المصري الذي كانت له رئاسة الإقراء.

الخاتمة:

ونكون قد وصلنا أخيراً إلى ختام هذا البحث، ملخصين أهم النقاط الواردة فيه:

- إن الله أنزل علينا القرآن، وأمر نبيه ﷺ بأن يقرئه أمته على

أن أن العامل السياسي قد لعب دوراً في نشرها، مثل فرض المذهبين المالكي والحنفي في بعض الأمصار من قبل الحكام، كما يذكر أبو زهرة...، إن أصبت فمن الله وده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن قريني، واستغفر الله من ذلك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د- تتلمذ ورش المصري على نافع، وانتهاء رئاسة الإقراء إليه، ونشر تلاميذ مالك المصريين مذهبه في مصر، وغلبته على تلك الديار.

ولعل هناك عوامل أخرى أهملتها ولم أتطرق إليها- وهذا من قصور العمل البشري:-

كتوافق رواية ورش مع لهجات من انتشرت عندهم الرواية من مثل تسهيل الهمزات ونقلها- مثل بلاد المغرب والجزائر خصوصاً-.

